المحاضرة 02:

النقد الشكلاني

شهد النصف الأول من القرن العشرين أشبه بثورة منهجية على الصعيد الأدبي والنقدي؛ حيث سعى الشكلانيون الروس إلى تأسيس علم أدبي مستقل يعنى بالخصائص الجوهرية للأدب،ويشتغل على بنية النص الأدبي وكيفية تحرك عناصره؛ فأحدثوا بين عامي 1915 و1930تحولًا كبيرًا في نظرية الأدب، حين جعلوا من النص الأدبي نفسه محور دراستهم واهتمامهم النقدي، متجاهلين كل ما يتعلق بحياة المؤلف وبيئته.

ويمكن القول إن ظهور الشكلانية قد تزامن مع فترة أصبح فيها الأدب يعاني من "أزمة منهجية"، تسببت فيها هيمنة النقد السياقي آنذاك، وهو نوع من النقد الذي يركز على الظروف الاجتماعية والسياسية والنفسية.. للكتاب، على اعتبار أن الأدب مجرد آداة لتوصيل رسالة معينة. وكنتيجة لهذه الهيمنة، طغت الواقعية على الأدب بأشكالها المختلفة، وركزت على تصوير الواقع الاجتماعي والسياسي، مع الاهتمام بالطبقات العاملة والمشكلات الاجتماعية.

لكن الشكلانيين الروس اعترضوا على هذا الاتجاه، ورأو "أن الفن الصحيح منفصل تماما عن الأفعال والموضوعات التي تتألف منها التجربة العملية في الحياة، فالإبداع الأدبي والفني عالم قائم بذاته وهو ليس مكلفا بتقديم صورة مكررة للحياة بصفتها الأصل (...) فالفن ينبغي أن يكون مستقلا مكتفيا بذاته، إذا أراد أن يكون فنا وأن يقوم بوظيفته النابعة من طبيعته". وفي هذا الصدد يقول بوريس إيخنباوم: " إننا في دراستنا لا نتناول القضايا البيوغرافية أو النفسية المتعلقة بالإبداع مؤكدين على أن هذه القضايا التي تبقى جدّ مهمة ومعقدة في الآن نفسه ، يجب أن نبحث عن مكانها في العلوم الأخرى " .

حاول الشكلانيون تقديم بديل نقدي يركز على الشكل الفني للأدب، مثل الأساليب اللغوية والتركيب الفني للنصوص، بعيدا عن التأثيرات الأيديولوجية والسياسية. وعملوا على تأسيس نظرية جمالية تهدف إلى خلق علم أدبي مستقل يستند إلى الخصائص الفنية للنصوص الأدبية. ويقارب النص الأدبي كـ "بنية فنية مغلقة" لا ترتبط بالواقع الخارجي أو سياق إنتاجه. فنادو بـ " أدبية الأدب"؛ يقول ياكبسون : " إنّ موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما الأدبية) أي ما يجعل من عملٍ ما عملاً أدبياً".

وقد مثل هذا الاتجاه نقدي عدد من النقاد والدارسين منهم: ورومان ياكبسون ، فلاديمير بروب ، مكاروفسكي ، شكلوفسكي ، بوريس إيخانباوم، يوري تينيانوف... من خلال الالتفاف حول حلقتين أو تجمعين يعود الفضل لهما في إرساء دعائم الشكلانية هما:

1- حلقة موسكو اللسانية التي تكونت سنة 1915م ، وهي حلقة استقطبت مجموعة من الشباب الذين كانوا يدرسون بجامعة موسكو، من أهم ممثليها رومان ياكبسون الذي أثرى اللسانيات بأبحاثه الصوتية والفنولوجية، كانت تهدف إلى إنجاز دراسات لسانية وشعرية وعروضية وفولكلورية.

2- حلقة أبوياز (opoiaz)) أو ما يدعى "جمعية دراسة اللغة الشعرية "بزعامة كل من "بوريس ايخنباوم" و"يوري تينيانوف" لقد شكّل عمل هؤلاء في النقد والتحليل والأدب والشعر ظاهرة كادت تتحول إلى نظرية دعيت بالنظرية الشائعة.

والمطلع على ما قدمته الحلقتان يلمح اهتمامهما بالتمييز بين اللغة الشعرية واللغة اليومية، حيث قدم جاكبسون الفرق بين اللغتين الشعرية واليومية "وصاغ الفرق بينهما على النحو التالي : إن الظواهر اللسانية ينبغي أن تصنف من وجهة نظر الهدف الذي تتوخاه الذات المتكلمة في كل حالة على حدة. فإذا كانت الذات تستعمل تلك الظواهر لهدف عملي صرف ، أي للتوصيل فإن المسألة تكون متعلقة بنظام اللغة اليومية (بنظام الفكر الشفوي)؛ حيث لا يكون للمكونات اللسانية (الأصوات، عناصر الصرف)؛ أي قيمة مستقلة، ولا تكون هذه المكونات سوى أداة توصيل".

ولعل اهم مبدأين في اللغة الشعرية سعى الشكلانيون الروس الى تحقيقها :

1- المبدأ القائل بأنّ موضوع الأدب هو الأدبية كما عند منظرهم ياكبسون أي التركيز على الخصائص الجوهرية لكل جنس أدبي على حدة.

2- شكلنة المضمون (دراسة الشكل قصد فهم المضمون): ويعني ذلك رفض ثنائية الشكل والمضمون وتمييز الخطاب الأدبي بأنه خطاب يختلف عن غيره من الخطابات ببروز شكله ، وليس معنى ذلك أنهم يهملون المضمون ، بل على العكس من ذلك يرون أن المضمون لا يتحقق إلا من خلال شكل فني ، وأنّ الشعر هو الفكر بواسطة الصور . بل يذهب بعضهم إلى أن الصورة الفنية تشكل وحدة الفن وجوهر المضمون والشكل، وأنّ المضمون هو الذي يحدّد الشكل ويتجلى من خلال الشكل.

أهم مقولات الشكلانية الروسية:

1- التغريب:

أو كسر الألفة وهو ما يقصد به تقديم ما لم يألفه القارئ ليشكل الجديد بالنسبة له، والمختلف الذي يؤسس مفهوما مغايرا للنص عكس ما اعتاد عليه من خلال التقنيات اللغوية أو عبر تغيير طريقة سرد وتقديم الاحداث.

2- **القص**

يميز الشكلانيون بين " الحبكة " و " الحكاية " حيث يؤكدون أن (الحبكة) هي التي تنفرد وحدها بالخاصية الأدبية أما القصة أو " الحكاية " فهي مجرد مادّة خام تنتظر يد الكاتب البارع الذي ينظمها .

3- التحفيز:

وهو مفهوم وضعه الشكلانيون من أجل إمكانية الاقتراب من البناء الفني للقصة او الرواية ليقودوا القارئ لمختلف الانساق التي فرضها النص الادبي والمساهمة في بناء الرواية خاصة العناصر التي تشكل مادته: المتن الحكائي، اختيار الدافع، الشخصيات،....الخ وتنقسم الحوافز إلى قسمين: حوافز مشتركة وحوافز حرة.

- الحوافز المشتركة: هي تلك الحوافز التي يستقيم بها المعنى داخل النص، أي تلك الحوافز الأساسية التي في حالة ما سقطت من النص يختل معناها.
- الحوافز الحرة: تلك الحوافز التي لا يختل معناها أو معنى النص من خلالها حتى في حالة سقوط بعضها.

4- العنصر المهيمن:

حسب يأكبسون هو العنصر الذي يحتل البؤرة من العمل الفني، فهو الذي يحكم غيره من العناصر والمكونات ويحدّدها ويحوّرها " فالعنصر المهيمن هو الذي يمنح العمل بؤرة تبلوره ، ويبسر وحدته أو نظامه الكلي".